رحم الله امرأً عرف قدر نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فقد دَأَب بعض الناس على سلوك طُرُق خطيرة لعل الدافع لها حب الظهور والتَعَالُم من باب خالف تُعرَف

ظهرت دعوى خطيرة مِنْ أحدهم تتلخص في أمور:

١- الدعوة إلى تجديد الفقه الإسلامي بدعوى أن الفقه القديم لم يفِ بمتطلبات العصر ولا يصلح للتطبيق في هذا الزمان

٢- صاحب هذه الدعوة جعل نفسه في مَصَافّ العلماء الكبار بقوله: (إخواني العلماء).

٣- نقده لآحاديث الآحاد

٤- دعواه أن العلماء السابقين قَصَروا جهودهم على السند وكأنهم لا عناية لهم بالمتن

٥- الاعتماد على العقل المجرد في هذه الدعوى

أقول وبالله التوفيق:

■ أما الأمر الأول فهذه دعوى (والدّعاوى إن لم تقيموا عليها ... بيّنات أبناؤها أدعياء)
فعلماء الإسلام أصَّلُوا للفقه قواعد عظيمة في ضوء الكتاب والسنة لا يجوز الخروج عليها ولا مخالفتها يظهر هذا من علوم أصول الفقه والقواعد الفقهية والتأصيل في المقاصد والغايات ونحو ذلك
فمخالفة سبيلهم خطيرة جدًا, وفيها فتح لباب الأقوال المهجورة والشاذة والمخالفة للإجماع المعتبر
قال الله تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا). [النساء: ١١٥]

■ وأما نقده لآحاديث الآحاد فسلفه في هذا فِرق المعتزلة ومن وافقهم من شُذَّاذ الآفاق فلا يحتاج إلى رد لا سيما أن العلماء قد ألَّفوا في الرد على منكري أحاديث الآحاد عشرات الكتب
وتشكيكه في أحاديث الآحاد فيه رد لآلاف الأحاديث الصحيحة وهذا في حد ذاته أشد شناعة وقُبحًا من الدعوة إلى إيجاد مذهب فقهي جديد.

■ وأما دعوى أن علماء الحديث يركزون على صناعة السند دون المتن فهذا باطل
يرد عليه تعريف العلماء للحديث الصحيح قال ابن الصلاح: (أَمَّا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: فَهُوَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الَّذِي يَتَّصِلُ إِسْنَادُهُ بِنَقْلِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ عَنِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ إِلَى مُنْتَهَاهُ ، وَلَا يَكُونُ شَاذًّا ، وَلا مُعَلَّلًا).
مقدمة ابن الصلاح ص١١-١٢

فاشتراط المُحَدِّثين أن لا يكون شاذًا ولا مُعَلَّلًا دليل واضح على اهتمامهم بالمتن كما يهتمون بالسند.

أما الإسناد فهو مما اختص الله به هذه الأمة تحقيقًا لقول الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ). [الحجر: ٩]
قال عبدالله بن المبارك: (الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء).
رواه مسلم في مقدمة الصحيح

■ وإذا كان مُستَنَد أهل هذه الدعاوى هو العقل المجرد من غير اعتماد على النصوص الشرعية فإن هذا هو الذي حملهم على أن يأتوا بالعجائب والغرائب الأمر الذي أنكره جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فور سماعهم هذه الحلقة الزائفة

ولا أدري بعقل من يُحكم على الدين أهو بعقول الفلاسفة أو المَنَاطِقَة أو من يُسَمَّون بالمفكرين أو التنويرين على حد زعمهم؟!!
قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا).
[الأحزاب: ٣٦]
وقال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). [النساء: ٦٥]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يرد على منكري الصفات ومؤوليها: (فيا ليت شعري بأي عقل يُوزَن الكتاب والسنة). الفتوى الحموية - ت حمد التويجري ص٢٧٢

■ وفي الختام أقول لهذا المُتعالِم: إن مُقتَضَى كلامك في هذه الحلقة الخطيرة يُفهَم منه نقدك لجميع العلماء السابقين بمن فيهم الصحابة والتابعون وكأنك ستأتي بما لم تأتي به الأوائل!
قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: (فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم). رواه أبو داود (٤٦١٢) وصححه الألباني

قال الأوزاعي رحمه الله: (اصبر نفسك على السنة , وقف حيث وقف القوم , وقل بما قالوا , وكف عما كفوا عنه , واسلك سبيل سلفك الصالح , فإنه يسعك ما وسعهم) إلى أن قال: (ولو كان هذا خيرًا ما خصصتم به دون أسلافكم , فإنه لم يُدَّخَر عنهم خير خُبئ لكم دونهم لفضل عندكم , وهم أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم الذين اختارهم وبعثه فيهم , ووصفهم بما وصفهم به). رواه الآجري - ط دار الوطن (٦٧٣/٢) واللالكائي - ط دار طيبة (١٧٤/١)
وقال أيضًا رحمه الله: (عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءِ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ). رواه الآجري في الشريعة - ط دار الوطن (٤٤٥/١) وصحح إسناده الشيخ الألباني في مختصر العلو ص١٣٨

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام). أسنده عنه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد - ط دار هجر ص٢٤٥ وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٩١/٢١)

قال الشيخ بكر أبو زيد بعد ذكره لأثر الإمام أحمد السابق: (أَقول: أَين هذا الهدي السني المقتصد في السنة من الذين يستظهرون سننًا، وهدياً في عصرنا لم تكن معروفة في عمر التاريخ الإسلامي؟ ثم هم يجالدون عليها، ثم يتدينون

ببغض من لم يَتَسَنَّنْ بها، والله يعلم ما في أَنفسكم فاحذروه). المدخل والمفصل إلى فقه الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب (٣٥٠/١)

والتجديد الديني الذي تدعو إليه بعض الأبواق على حالين:

١- إن كان المقصود منه الاستفادة من الوسائل المُعاصِرَة في نشر الإسلام والدعوة إلى الله واتخاذ قرارات فيما يستجد من مسائل من قِبَل العلماء الربانيين الذين ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فهذا أمر مطلوب وهو الذي يدعوا إليه علماؤنا وتسير عليه دولتنا المملكة العربية السعودية ولله الحمد والمنة
قال الملك عبدالعزيز رحمه الله: (لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وكل طريق غير ذلك لا يفيد). المصحف والسيف ص٨٠
وقال: (أنا لست بعالم ولكن الحق برهان والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح) المصحف والسيف ص١١٧
وقال: (شعارنا والحمد لله هو : توحيد الله ، واتباع خطة السلف الصالح). المصحف والسيف ص١١١

وقال خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان حفظه الله: (قال الملك عبدالعزيز رحمه الله كما جاء في صحيفة أم القرى: ونحن ناس لسنا أصحاب مذهب جديد وعقيدة جديدة وعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح ونحن نحترم الأئمة الأربعة لا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة). رابط كلامه: youtu.be/vbK4s5-ML7k//:https من الدقيقة ١:٠٨ إلى ١:٢٩

وقال خادم الحريمين الشريفين أيضًا: (لا مكان بيننا لمتطرف يرى الاعتدال انحلالًا ويستغل العقيدة السمحة لتحقيق أهدافه ولا مكان لِمُنحَل يرى في حربنا على التطرف وسيلة لنشر الانحلال). رابط كلامه:
youtu.be/pAJA-SnDDjw//:https

٢- وإن كان المقصود بالتجديد الخروج عن منهج أهل السنة والجماعة بإحداث فقه جديد ومناهج جديدة خارجة عن منهج السلف الصالح فهذا مرفوض جملة وتفصيلًا

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٩١/٢١):
(وكل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأ كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام).
وقال رحمه الله في في جامع المسائل - ط عطاءات العلم (٤٤٢/٨) (وقول القائل: «أنا لا أتقيد بأحد هذه المذاهب الأربعة» إذا أراد بذلك أي: لا أتقيد بواحد بعينه دون الباقين، فقد أحسن في هذا الكلام، بل هذا هو الصواب. وإذا أراد: أني لا أتقيد بها كلها بل أخالفها، فهذا هو مخطئ في الغالب قطعا، إذ الحق لا يخرج عن هذه المذاهب الأربعة في عامة الشريعة).

قلت: الغالب أنك لا تجد قولًا تعضده الأدلة وتقويه يخرج عن أقوال المذاهب الأربعة ويقينًا لا تجد قولًا تعضده الأدلة وتقويه يخرج عن أقوال العلماء المجتهدين المعتبرين

ولذلك أقول لصاحب هذه الدعوى رحم الله امرأً عرف قدر نفسه
الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل وأقول له أعط القوس باريها
وأعط الليث منيع غابِه واحذر من بُنَيَّات الطريق

نسأل الله لك الهداية والتوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أملاه: صالح بن سعد السحيمي